الدبلوماسية الإسلامية ودورها في نشر الدعوة الإسلامية بين الفترة المكية والمدنية

أ.د. أبكر عبد البنات آدم إبراهيم•

ملخـــــص

تهدف الدراسة إلى التأكيد بأن الدبلوماسية في مفهومها العام بدأت منذ أن وجدت الإنسانية على هذه البسيطة. ومع تطور مفهوم الروابط الإنسانية من مجتمع الفرد والأسرة إلى مجتمع القبيلة والقرية والمدينة. فالدولة الإسلامية في عهدها الأول ذات تاريخ حافل بالإنجازات في مجال نشر الدعوة الإسلامية، والتي ما زالت حتى اليوم تشكل منهجاً ذات قواعد ونظم ولوائح تستدعي منا الوقوف على حقيقة أبعادها، وتقديم رؤية تعارفية لبناء علاقات تؤكد عالمية الرسالة الإسلامية. وقد خلصت الدراسة إلى أن ممارسة عمل الدبلوماسية في الدولة الإسلامية يتطلب الالتزام بالمعايير الأخلاقية التي تحقق قيم الولاء للوطن. وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي وأحياناً الاستقرائي لقراءة واقع الدبلوماسية الإسلامية ودورها في نشر الدعوة الإسلامية.

• جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم– السودان.

Abstract

The study aims to emphasize that diplomacy in its general concept has begun since humanity was found on this simple. As the concept of human ties evolved from the individual and family community to the tribe, village and city community. The Islamic State in its first era has a long history of achievements in the dissemination of The Islamic Da'wa, which to this day continues to be a method of rules, regulations and regulations that require us to know the reality of its dimensions and to provide a familiar vision for building relationships that confirm the universality of the Islamic message. The study concluded that practicing diplomacy in the Islamic State requires adherence to ethical standards that achieve the values of loyalty to the homeland. The researcher used the descriptive analytical and sometimes inductive approach to read the reality of Islamic diplomacy and its role in spreading The Islamic Da'wa.

.

مقدمـــــــة

الدبلوماسية بمفهومها المطلق وجدت منذ أن خلق الله الإنسان على هذه البسيطة، فهو كائن اجتماعي بطبعه لا يستطيع أن يعيش وحيداً منفرداً بعيداً عن أقرانه من البشر الآخرين فحياته ليست كاملة وشاملة بل أنه يحتاج لتكملتها وشموليتها وسد النقص فيها بالتعامل مع الآخرين لفتح آفاقه واتساع مداركه العلمية والمعرفية، فكلما ازداد عدد البشر كلما كثرت احتياجاتهم وتعددت تجمعاتهم، وبالتالي ازدادت علاقات التواصل فيما بينهم، ويرى بعض المؤرخين أن اجتماع الإنسان الأول كان سببه الخوف من مظاهر الطبيعة ورغبته في العيش فعرف العلاقات الاجتماعية من زواج ومصاهرة وتزاور وعلاقات اقتصادية وأمنية وعسكرية وغيرها، حماية من مخاطر الاعتداء، وصد العدوان. . . الخ. ومع اتساع المجتمع وتطوره وانتقاله من مجتمع الفرد والأسرة إلى مجتمع القبيلة والقرية والمدينة؛ اتسعت معها العلاقات الدبلوماسية، فالمتصفح لتاريخ العلاقات البشرية يجد أن قيام الحضارات القديمة تمثل أحد حقول المعرفة الإنسانية، ثم تزايدت مع إزدياد الصلات والروابط بين المجتمعات البشرية. ومما دفع لزيادة الاهتمام بالعلاقات الدبلوماسية الأحداث الدولية المتلاحقة وما صاحبها من تطورات في مجال التسلح والتبادل التجاري والثورة العلمية والتكنولوجية، هذا بالإضافة إلى حركات التحرر العالمية وغيرها.

مشكلة الدراسة:

لا يخفى على القارئ الحصيف أن ما يتعرض له الإسلام اليوم من حملات منظمة وشرسة لتشويه علاقاته الدبلوماسية عبر التاريخ، ليس إلا لأسباب عقدية وسياسية ممثلة في التغريب والاستلاب العقلي والفكري.

فالسؤال هل عجزنا اليوم عن صياغة خطاب حضاري يجمع روافد الحضارة الإسلامية مؤصلةً بلغة يفهمها العالم الخارجي؟ فالمشكلة الحقيقية هي ليست في ريادة المنظومة الإسلامية في مجال حقوق الإنسان والقانون الدولي بقدر ما هي النقص التوثيقي الاكاديمي العلمي لهذه المنظومة.

أهمية الدراسة:

تبرز أهمية الدراسة في أنها تسعى إلى معرفة دور الدبلوماسية الإسلامية بين الفترة المكية والمدنية في بناء العلاقات الدولية عامة، وفي صدر الدولة الإسلامية على وجه العموم.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

- إن بناء العلاقات الدبلوماسية تتم من خلال مصداقية البعثات الدبلوماسية.
- التأكيد بأن للاتصالات الخارجية دور في بناء العلاقات الدبلوماسية بأبعادها المختلفة.
- إظهار أهمية ممارسة الدبلوماسية في بناء العلاقات الدولية.
- الكشف بأن للدبلوماسية الإسلامية دور كبير في بناء العلاقات الخارجية.
- التأكيد بأن الدبلوماسية الإسلامية لا تعتمد على بناء القوة العسكرية بقدر ما تعتمد على الصدق والأمانة.

أسئلة وفرضيات الدراسة:

تسعى الدراسة للإجابة على الآتي:

- هل شكلت الدبلوماسية الإسلامية في صدر الدولة الإسلامية الأولى محوراً من محاور بناء العلاقات الدولية؟
- ما مدى مساهمة الدبلوماسية الإسلامية في عالمية الرسالة الإسلامية؟
- كيف استطاع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحقق معاني الدبلوماسية من خلال رسائله للملوك والأمراء؟
- هل فرضت الدبلوماسية الإسلامية واقعاً جديداً أعاد تنظيم علاقة المسلمين مع بعضهم البعض ومع غيرهم من الشعوب والأمم؟
- هنالك علاقة وثيقة بين رسائل النبي صلى الله عليه وسلم؛ وممارسة الدبلوماسية الدولية.

منهجية الدراسة:

اعتمد الباحث على المنهج التاريخي والوصفي والتحليلي والاستقرائي لضبط دوافع التطور والنتائج المترتبة على الصفات المميزة للدبلوماسية الإسلامية.

مفهوم الدبلوماسية لغة واصطلاحاً:

لغة: الدبلوماسية كلمة يونانية الأصل مشتقة من لفظة "دبلوما" (diploma) عند الإغريق. ومعناها الطَوْيُ والثَنْيُ[1]. وقد تطور مفهوم النشاط الدبلوماسي نسبيا عندما مارسه الرومان منذ قرون خلت ثم ممارسته العرب في الجاهلية، وعندما جاء الإسلام صار من دلالاته الشائعة ممارسة الكياسة واللباقة والمهارة في التعامل[2]. ثم غدا العمل الدبلوماسي مصطلحاً متكاملاً له أسسه ونظرياته ومعالمه وامتيازاته وأحكامه الدولية المتعارف عليها، والتي يقصد بها

(١) ابن منظور(١٣١٤هـ). لسان العرب. دار العلوم، بيروت، ط٢ص٤٣٢.

(2) Ian Brownel، Principles of Public International Law، C، Press Oxford 1966، p: 276.

في النهاية إتقان فن إدارة العلاقات بين الدول وتوثيقها وتنميتها نحو الأفضل في زمن السلم، وفض المنازعات ونحوها[١].

أما كلمة السفارة فمشتقه من الفعل"سفر" وتعني وضح وانكشف وارتحل، ويعود كلمة سفير إلى سفر، ويقال سفر بين القوم أي أصلح، ومصدرها سفر وسفارة بكسر السين وفتحها، وقيل للوكيل ونحوه سفير، وسفر الشيء سفراً أي أوضحه وكشفه، فالسفير بمعنى قطع المسافة والخروج للترحال، ويقال سفر الرجل سفراً فهو سافر مثل راكب وصاحب[٢]. ولا سيما تلك التي كانت تحتوي على اتفاقيات ومعاهدات مع قبائل وجماعات أجنبية أخرى. وفي القرنين الخامس عشر والسابع عشر الميلاديين استخدمت مصطلح الدبلوماسيه لتشير إلى فن إدارة وتوجيه العلاقات الدولية في بناء المفاوضات[٣].

اصطلاحا: الدبلوماسية عبارة عن عملية سياسية تستخدمها الدولة في تنفيذ سياستها الخارجية بالتعاون مع الدول في إدارة علاقتها ضمن المنظومة الدولية. وقد اشار معجم اكسفورد بأن للدبلوماسية عدة تعريفات منها:"أنّها إدارة العلاقات الدولية بواسطة السفراء والمبعوثين وهي علم وفن". وعرّفها (فضل زكي) على أنها:"علم وفن وتنظيم العلاقات الدولية التي يمارسها المبعوثين والممثلين الدبلوماسسين من خلال المفاوضات"[٤]، كما عرفها تشارلس كالفور على أنها:" علم العلاقات القائمة بين مختلف الدول والناتجة عن المصالح المتبادلة والنابعة من مبادئ القانون الدولي العام ونصوص المعاهدات والاتفاقيات الدولية" ويرى سرحان على أنها الطريقة التي يسلكلها

(١) بو سلطان، محمد(١٩٩٩م). مبادئ القانون الدولي العام. دار الغرب للنشر، الجزائر، ط١ ج٢ ص١١.
(٢) ابن سيد الناس(بدون تاريخ). عيون الأثر، طبعة المعرفة، بيروت، ط ٢ص٢٥٩.
(٣) حسين، عدنان السيد(٢٠٠٣م). نظرية العلاقات الدولية، دار أمواج، بيروت، ط٣ ص١٢٥.
(٤) محمد، فاضل زكي(١٩٧٣م). الدبلوماسية بين النظرية والتطبيق، مطبعة شفيق، بغداد، ط٣ ص١٨.

القانون الدولي لتسهيل قيام علاقات ودية سلمية بين الدول وذلك بغية القضاء على ما قد يكون هنالك من تضارب في الرأي وتنازع في المصالح المتبادلة" ويرى روبرت دي كانتور على أن الدبلوماسية هي إحدى وسائل تنفيذ السياسة الخارجية أي أنها: "فن ممارسة إجراء المفاوضات مع دول أخرى في عملية تنفيذ السياسة الخارجية بصورة رسمية تهدف الى تعزيز المصالح الوطنية في الخارج"[1]. وهناك من يعزي الدبلوماسية إلى الوظائف التي تؤديها والذي يتمحور في أربع وظائف رئيسية هي الإقناع، التسوية،الاتفاق والإكراه. ومما تقدم فإن جميع التعريفات تشير إلى أن الدبلوماسية هي فن المفاوضة لإدارة العلاقات الدولية وإبعاد شبح النزاعات الدولية التي تؤدي إلى القضاء على العلاقات الدولية. فالرسول هو صاحب الرسالة الذي يتابع أخبار بعثته، والسفير هو الرسول والمصلح بين القوم[2]، وقد استعملت الكلمتان، اصطلاحا بمعنى واحد، للموفد الدبلوماسي، وإن غلب أحياناً المدلول الديني في استعمال كلمة الرسول، وغلب معنى الوساطة والإصلاح في استعمال كلمة السفير. فعند سماع هذه الكلمة فإنه يتبادر للذهن أن لها ارتباطاً مباشراً بالعلوم السياسية بشكل عام، وبأنها ترتبط بالعلاقات بين الدول، أي أنها ذات صلة بالعلاقات الدولية حيث أن كثيراً من الناس يستخدم هذه الكلمة في حياته اليومية عندما يريد أن يصف إنساناً لبقاً في التعامل وقادراً على أداء مهمته بكفاءة عالية ولباقة واضحة، فيقول عنه أنه إنسان "دبلوماسي". أي لديه قدرة وفن في التعامل، ومن أشهر التعاريف:

(١) حسين، عدنان السيد(٢٠٠٣م). نظرية العلاقات الدولية. دار أموج، بيروت، ط٢ص١٢٥.

(٢) ابن منظور(١٣١٢هـ). لسان العرب. دار العلم، بيروت، ط٢ص٢٥٤.

- الدبلوماسية تعني: عملية التمثيل والتفاوض التي تجري بين الدول في غمار إدارتها لعلاقاتها الدولية[١].
- مجموعة القواعد والأعراف الدولية والإجراءات والمراسم والشكليات التي تهتم بتنظيم العلاقات بين الدول والمنظمات الدولية والممثلين الدبلوماسيين. . . وفن إجراء المفاوضات السياسية في المؤتمرات والاجتماعات الدولية وعقد الاتفاقات والمعاهدات[٢].
- يعرفها الخبير الدبلوماسي الأمريكي "جون كينان": أنها عملية الاتصال بين الحكومات[٣].
- هي فن إدارة العلاقات الخارجية أو أسلوب رعاية مصالح الدولة في الخارج، وهي من الأساليب السياسية التي تتبعها الدولة في تنظيم علاقاتها مع الدول الأخرى[٤].

فالدبلوماسية بتعريفها الحديث هي مجموعة المفاهيم والقواعد والإجراءات والمراسم والمؤسسات والأعراف الدولية التي تنظم العلاقات بين الدول والمنظمات الدولية والممثلين الدبلوماسين بهدف خدمة المصالح العليا الأمنية والاقتصادية والسياسات العامة، ويتم التوافق بين مصالح الدول عن طريق الاتصال وتبادل المعلومات و إجراء المفاوضات السياسية وعقد الاتفاقات والمعاهدات الدولية، فالدبلوماسية أداة من الأدوات لتحقيق الأهداف السياسة الخارجية للدول وكسب تأييدها بوسائل شتى منها ما هو إقناعي أخلاقي ومنها ما هو ترهيبي وترغيبي الغرض منها تعزيز العلاقات وتطويرها، والدفاع عن

(1) Ch. Rousseau : Droit International Public، Sirey Paris 1953، p : 424.

(٢) دراز، عبدالله(١٩٤٩م). القانون الدولي في الاسلام. المجلة المصرية للقانون الدولي، ط١ص١١.

(3) Ch. Rousseau : Droit International Public، Sirey Paris 1953، p : 424.

(4) Afdal Iqbal : The Prophet's Diplomacy، U.S.A 1975، p :53.

المصالح المشتركة، وتمثيل الحكومات في المحافل الدولية الخارجية.

أسس وأهداف الدبلوماسية الإسلامية:

كان العرب في الجاهلية يعقدون التحالفات لتأمين تجارتهم فكثر اتصالهم بشعوب الدول المجاورة، كما استهوى البيت الحرام في مكة أفئدة أهالي الأقاليم المجاورة فوجد العرب فرصة لتجميع رؤساء القبائل وحكامها في الأشهر الحرم، فكانوا كثيراً ما يلجأون إلى عقد الهدنة المؤقتة عن طريق تبادل الرسل لحل ما تبقى من خلافات بالحوار والتفاوض سلمياً، وذلك لتأمين مرور قوافلها من الشام في الشمال، حيث توجد إمبراطورية الروم وإلى اليمن في الجنوب، وذلك في رحلتي الشتاء والصيف، اللتين ورد ذكرهما في القرآن الكريم، لقوله تعالى: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ • إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ [قريش:١-٢]. وتقوم الدبلوماسية الإسلامية على تعاليم الشريعة الغراء وهي تنهل منها لتعكس بوضوح تطلعات الإسلام لقيم الإنسانية النبيلة التي تدعو إلى توثيق العلاقات وتبادل المصالح بين الشعوب بناءً على الأسس التالية:

١- التعريف بالإسلام ومبادئه وفضائله والدعوة إليها: حيث جاء في رسالته صلى الله عليه وسلم إلى قيصر ملك الروم: "من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أسلم تسلم، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين. . ." . وقد جاء ذلك مصداقاً لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

٢- حل الخلافات والنزاعات بالطرق السلمية: ويتجلى ذلك في إرسال النبي صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان إلى قريش ليطلعهم على حقيقة

قدومه، وأنه يريد العمرة ولا يريد الحرب، وهو مستعد للتفاهم إن أرادت قريش ذلك، وقد كان له ما أراد، فأرسلت قريش سهيل بن عمرو إليه فاتفقا على صلح الحديبية، فكانت الفتح المبين (فتح مكة).

٣. تنمية العلاقات الإنسانية: تهدف الدبلوماسية في الإسلام إلى تكوين علاقات إنسانية بين المسلمين وغيرهم، وتنمية هذه العلاقات بالوسائل المشروعة والتواصل الاجتماعي والاقتصادي والمعيشي والعلمي والفني. . . ويشهد لذلك اختلاط المسلمين بقريش بعد صلح الحديبية، وتبادلهم معها المصالح الاقتصادية والمعيشية والمعارف الثقافية، فضلاً عن توثيق العلاقات الاجتماعية التي تجمع بين الطرفين.

٤. تنفيذ السياسة الخارجية للدولة، وكسر إدعاء بعض المستشرقين الذين يدعون بأن المسلمين في علاقاتهم الخارجية لم يعرفوا إلا السيف لمن لم يؤمن بكتابهم، فألصقوا بالإسلام تهما ومزاعم باطلة، على الرغم من أن هذه المزاعم لا تقوى على الصمود أمام الدراسات الموضوعية والبحث العلمي النزيه. كذلك استمروا في الادعاء في السنوات الأخيرة بأن الإسلام دين إرهاب، وأن النظم الإسلامية وسياستها الخارجية مبنية على التطرف والإرهاب، لتشويه صورة الإسلام وأنظمته أمام العالم، والوسيلة الأولى لصناع القرار لإقناع الآخرين بحركة التفاعل الدولي بين المسلمين وغيرهم. ووسيلة من وسائل التفاوض والتمثيل، وكثيراً ما تستخدم لتقريب وجهات النظر والتوفيق بين مصالحة الأطراف المختلفة.

وقد نشأت فكرة الدبلوماسية الإسلامية لتحقيق الأهداف التالية:

١. القيام بالاتصال والتباحث من أجل بناء علاقات دولية.

٢. الدعوة إلى عقد علاقات اجتماعية واقتصادية وسياسية.
٣. تطوير العلاقات الدولية ونبذ الحروب، والدعوة للمفاوضات وعقد الصلح والاحتفال بإرساء قواعد السلام.
٤. محاولة تشجيع قيام جماعات سياسية من أجل التحالف والمساندة كوسيلة لرعاية السلام (مثل حلف الفضول وحلف الطيبين).
٥. تبادل الرسل والمبعوثين من أجل نشر الدعوة الإسلامية.
٦. تحقيق السيادة الوطنية، وإثبات الذات في المجتمع الدولي حيث يتم ممارسة الدبلوماسية بمظاهرها كافة كالتمثيل الدبلوماسي والإعلام والتفاوض وعقد المعاهدات.

٧. وسيلة لتحقيق السلام في حركة تفاعل المجتمع الدولي لذلك فهي تدخل في دائرة المدرسة المثالية (الأخلاقية – القانونية)، والتي تتفاءل ببناء عالم خالي من النزاع والصراعات.

لذلك سعى الإسلام لتنظيم العلاقات الدبلوماسية في حال السلم والحرب من خلال الممارسات التالية:

- **التحكيم**: كان التحكيم معروفاً بين قبائل الجزيرة العربية منذ القدم، وعندما جاء الإسلام اثبت الشرع الإسلامي جواز التحكيم كطريقة سلمية لتسوية المنازعات في مجال القانونين الخاص والعام وإقرار صحة التحكيم سواء كان التحكيم بين فريقين مسلمين أو بين مسلم وغير مسلم[1]. كما مورس التحكيم في الشريعة الإسلامية بموجب سوابق النبي صلى الله عليه وسلم، حيث كان صلى الله عليه وسلم أول محكم في الخلاف الذي دب بين قبائل

(1) Afdal Iqbal : The Prophet's Diplomacy، U.S.A 1975، p :53.

قريش في مكة المكرمة عندما اختلفوا في رفع الحجر الأسود فجاء حكم النبي صلى الله عليه وسلم ضامناً لحفظ الحقوق والدرجات في نيل ذلك الشرف، ومنعاً للفتنة بينهم، لقوله تعالى: ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً ﴾ [النساء: ٦٥].

- **الوساطة**: أوصى الشرع الإسلامي بالوساطة لحل النزاعات بين الجماعات الإسلامية وغيرهم كما حرم الاعتداء حتى على غير المسلمين، لقوله تعالى: ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات:٩]، وفي هذه الآية وجوب التعاون في سبيل تحقيق السلام الدولي القائم على العدل والقسط، كما أمرت بالمصالحة والوساطة كتدبير وقائي دبلوماسي حتى لا يقع الطرفان في العقاب الرباني. وهنا لابد من التنويه بأن القواعد الشرعية التي تحكم العلاقات الدولية في الإسلام هي قواعد عالمية تطبق على جميع الشعوب من غير تمييز بسبب اللون أو الجنس أو الجنسية أو المعتقد لأن الإنسان هو غاية الإسلام والناس أمة واحدة. وهذا الحكم هو الأساس لما يسمى حالياً بحق الدفاع الشرعي في العلاقات الدولية.
- **الصلح**: الصلح في الإسلام إما أن يكون مؤقتاً كصلح الحديبية حيث كان مدته عشرة سنوات أو أن يكون دائماً كإنهاء الحروب والنزاعات وغيرها، وعقد الصلح في الإسلام مشروط بوجود المصلحة، لقوله تعالى: ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَآؤُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُواْ قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاء اللّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ

إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً ﴾ [النساء:٩٠]، ولعل أجمل ما قيل في الصلح القول المأثور للإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين قال: لا تدفعن صلحا دعاك إليه عدوك ولله فيه رضا . . . فإن في الصلح دعة لجنودك وراحة من همومك وأمنا لبلادك ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه فان العدو ربما قارب ليتغفل".

مميزات رسائله صلى الله عليه وسلم:

- **الإخلاص في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى**: فالدعوة إلى الله دعوة إلى بناء قيم العلاقات الاجتماعية، في العلم والحياة والخلق، والإبداع في الذات، وبالنفس والقدرة على الطاعة والعمل. وبالرغم من المحن والمصائب التي ألمت به صلى الله عليه وسلم وبالمسلمين، إلا أنّ سفراءه قد تمكنوا من تحقيق الأهداف الاستراتيجية في بناء العلاقات الدولية، حتى وصلوا بالإنسانية إلى مصاف الإيمان بالله رباً؛ وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً، لأنه كان عليه الصلاة والسلام مدركاً بذوات النفس البشرية، وخبير بطب القلوب ودوائها.
- **عرض الدعوة بالتي هي أحسن**: في الوقت الذي أمر الله سبحانه وتعالي نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يصدع بأمره، خرج إلى القبائل داعياً إلى الله يسألونه فيجيبهم بما يوحى إليه، حتى أصبح موضوعية الوحي يشكل جزءاً من حديث الناس في كافة أنحاء المدينة المنورة وخارجها، وهذا ما نلاحظه عندما مثل سفراؤه هذا الدور خير تمثيل، فهم دعاة ودبلوماسيون للدعوة الإسلامية بالهداية والإرشاد، لقوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ

بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾[الصف:٩]، وقال أبو هريرة رضي الله عنه:"ليظهره على الدين كله" أي حتى خروج عيسي عليه السلام"(لِيُظْهِرَهُ) أي يطلّع رسول الله صلى الله عليه وسلم على سائر الأديان حتى يكون عالماً بها[١].

- **تحقيق الوحدة الدينية والسياسية**: جاء الإسلام ومجتمع الجزيرة العربية في مفترق الطرق، فحاول رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبني مجتمعاً تعمه الوحدة لتحقيق هدف الاستخلاف في الأرض، وتأكيد أهمية العلاقات الدولية وتبسيط مفهوم الدعوة الإسلامية لغير المسلمين.
- **مخاطبة العقل**: يرى الأدباء أن الأديب يحرك قوته العقلية نحو الأعمال الصالحة، فالرسول صلى الله عليه وسلم يحمل في طياته قواه العقلية وكل مكونات العقل الراجح الذي يستمد قوته من الوحي الإلهي، لذلك كانت خطاباته إلى الملوك والأمراء لا تحتاج إلى تكليف أو إلى كبير عناءٍ، لأن منبعها القراءن الكريم.
- صرف أنظار وعقول معارضيه إلى العقيدة الصحيحة التي تفيدهم وتنفعهم، وإنقاذهم من كل ضلالة أو مصيبة تحيط بهم، حيث جاءت في بعض رسائله صلى الله عليه وسلم "ادعوك بدعوة الإسلام. . . الخ"[٢].

وقد جاءت دعوته عليه الصلاة والسلام لهؤلاء الملوك والأمراء من العرب والعجم لتحقيق الأهداف التالية:

(١) القرطبي(بدون تاريخ). الجامع لأحكام القرآن. تحقيق عبدالرازق المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢ج٩ص١٧-١٨.
(٢) الآلوري، عبدالله آدم(١٩٩٧م). تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم. مكتبة وهبة، القاهرة، ط١ص١٧.

١. إصلاح الأوضاع العالمية الفاسدة: عندما طغت الوثنية علي التوحيد في كل بقاع العالم، حتى صارت كأنها هي الأصل في الأديان، أرسل الله عز وجل نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ليقيم الحجة البالغة وليؤكد وجوده سبحانه وتعالى، وترك عبادة الأصنام والأوثان؛ التي انتشرت في مكة والمدينة المنورة وفي سائر أنحاء العالم لقوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة:٢].

٢. جمع رسالات السماء في دائرة واحدة: كانت بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة فأنزل معه الكتاب الذي أصلح ما فسد من أحوال الأمم، فدعا أهل الكتاب إلي دين الحق لقوله تعالي: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:٦١]. فالدعوة إلى جميع ملوك الأرض تأكيد إلى أن الملك لله الواحد القهار، ولبناء علاقات دولية تقوم على مبدأ الاعتراف بالرسالة الجديدة.

٣. التأكيد بأن الوفاء بالعهود خصلة من خصال المرسلين والمؤمنين والصادقين، لقوله تعالى: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النحل:٩١].

٤. رد أهل الكتاب من الضلال إلى الهدي: لقد أرسل الله عز وجل رسوله هداية للناس كافة حتى لا تتبع كل أمة هواها من دون الحق لقوله تعالي: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ

شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدةً وَلَكِن لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [المائدة:٤٨] .

٥. إتمام مكارم الأخلاق: لقد عز الله الإسلام والمسلمين بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال مع الأفراد والجماعات لقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾ [الأحزاب:٢١]، وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيم ﴾ [القلم:٤] .

صفات الدبلوماسيين في صدر الدولة الإسلامية:

كان اختيار النبي صلى الله عليه وسلم لسفرائه ينبع من معرفته بأحوالهم وصدقهم وامانتهم في تحمل رسالة الدعوة إلى من هم أعداء لهذه الرسالة، وقد أعد صلى الله عليه وسلم هؤلاء الرسل إعداداً روحياً ومادياً، فأرسى لهم قواعد أساسية لبناء علاقات التواصل الدولي بما يؤهلهم في نشر الدعوة الإسلامية، فتوفرت عندهم القدرة الفائقة في إتقان أساليب الحوار والمجادلة بالتي هي أحسن عندما أدركوا لغات تلك الشعوب والأمم. وقد تحلى السفراء بالصفات التالية:

١. الكفاءة العالية في العلم والمعرفة بأحوال الأمة لأنهم دعاة قبل أن يكونوا سفراء، وهذا ما جاء عن ابن الفراء قائلاً:" اختر لرسالتك في هدنك وصلحك ومهمتك ومناظرتك والنيابة عنك رجلاً حصيفاً بليغاً، وقلباً قليل الغفلة منتهز الفرصة، إذا رأى جزل وقول فصل، ولسان وقلب حديد فطناً. . . ومستقلاً لما ترجو. . . . وإصابة الرأي منطقياً له بالحذر والتمييز. . . الخ "[1].

(١) ابن الفراء(١٩٧٣م). رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة. دار الكتاب الجديد، القاهرة، ط٢ص٣٣.

٢. حسن السلوك: تحلى السفراء بالصفات الخُلقية التي تؤهلهم لأن يحفظوا صورة الإسلام لمن يرسل إليهم، وإقامة الحجة وإقناعهم بالأدلة الموضوعية، وهنا تقتضي الأمانة والنزاهة في حفظ الأسرار، فعلى المحاور والمناقش أن يتحلى بالصبر والمثابرة والشجاعة والثبات عند المبدأ[1].

٣. الصدق في القول: من أولويات السفراء أن يجعلوا الإسلام حياً في كيانهم، وأن يسعوا إلى تطبيقه، وأن يخلصوا أمرهم كله لله حقاً وصدقاً، وعليهم أن يعرفوا أن المخالفة بين قولهم وفعلهم أمر مذموم، لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ• كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف:٢-٣]، فالمخالفة نوع من أنواع النفاق الذي لا ينبغي أن يتصف به رجل الدعوة، ومن المعلوم أن الناس يقدرون الأشخاص الذين يتصفون بالصدق مصداقاً لقوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب:٢٣]. ومن أوجب واجبات الدبلوماسي أن يؤمن إيماناً صادقاً بنظام الدولة التي يمثلها وينتمي إليها، ويعرض مبادئه وأفكاره وقيمه من خلال تعامله الكريم وخلقه الحسن، بعيداً عن العبث والفظاظة، حيث لا تؤثر فيه المغريات ولا تزعزعه الأوهام، وقد وُصف جعفر بن أبي طالب سفير المسلمين إلى الحبشة بأنه أشبهُ الناس بالنبي صلى الله عليه وسلم خَلْقا وخُلُقا، وكفى بهذا ثناءً ومدحاً.

٤. فهم طبيعة المدعوّين: علي الداعية أن يعرف طبيعة المدعوّين ولسانهم ومعتقداتهم، حتى يتم مخاطبتهم بقدر عقولهم، لأن معرفة خصائص

(١) فودة، عزالدين(١٩٦١م). الوجيز في فن التفاوض. مطبعة جامعة بغداد، العدد العشرون، ص١٤٩.

النفس من أهم أسباب نجاح الدعوة.

٥. الصفات الخُلقية: وهي صفة وهبها الله سبحانه وتعالي لبعض من عباده خاصة في الأمور التي تقتضي الحوار والمجادلة والمناقشة، وأمامنا دحية الكلبي سفير رسول الله صلي الله عليه وسلم إلى هرقل ملك الروم.

٦. الكفاءة الوظيفية: ويراد بها معرفة أصول العلاقات الدولية في زمن الحرب وزمن السلم، ناهيك عن الاتصاف بسعة العلم والمعرفة، والذكاء، والنباهة، واللباقة، والبصيرة الثاقبة وشدة التيقظ للمفاجآت، واهتبال الفرص واغتنامها لتحقيق أهدافه[١].

٧. حسن الهيئة: أولى المسلمون عناية لافتة بمظهر السفير الخارجي ولياقته ووسامته، لأن ذلك أول ما يقع عليه النظر، وبه يتأثر العامة والخاصة، قال ابن الفرَّاء: " يُستَحسن في الرسول تمام القدِّ، وامتداد الطول، وصلابة الجسم وامتلاؤه، فلا يكون قصيراً أو نحيفاً، لعل تقتحمه العيون فتزدريه، وإن كان المرء بأصغريه قلبه ولسانه، لكن الصورة تسبق اللسان، والجسم يستر الجَنان "[٢].

٨. الفصاحة وحسن البيان: ينبغي أن يكون الدبلوماسي فصيح اللسان وحسن البيان، متقناً لغة من أرسل إليهم؛ حتى يتمكن من إبلاغ ما يريد والتعبير عنه بسهولة ويسر، والقيام بمهمته، ومعالجة الأمور دون تباطؤ أو عجز أو اضطراب أو تكلُّف.

٩. معرفة أحوال الدولة الموفد إليها: ينبغي أن تتوفر في الدبلوماسي المعرفة بالأحوال الاجتماعية والثقافية والسياسية والمعيشية في الدولة الموفد إليها،

(١) ابن هشام(بدون تاريخ). سيرة ابن هشام، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار القلم، بيروت، ط٢ج٢ص١١٩.

(٢) ابن الفراء(١٩٧٣م). رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة. دار الكتاب الجديد، القاهرة، ط٢ص٣٨.

فضلاً عن إلمامه بعاداتهم وتقاليدهم؛ ليكون ذلك أقرب إلى التفاهم معهم وأجدى في تحقيق مهمته، وتنمية العلاقة بين دولته والدولة التي أوفد إليها.

فالنبي صلى الله عليه وسلم منح بذاته الحصانة لبعض سفرائه، وقد اتبع الخلفاء الراشدون ذات النمط في تفعيل مفهوم الدبلوماسية الإسلامية، لاسيما وأنهم كانوا يمثلون السفارات الإسلامية في الخارج[١]، لأن الفتح الإسلامي لا يتخذ من الحرب وسيلة لإبلاغ الأعداء بالدعوة، إذ لا يجوز أن يقاتل من لم تبلغه الدعوة الإسلامية[٢]. وقد عامل الخلفاء الراشدون مبعوثي الملوك والأمراء المعاملة نفسها التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يعامل رسله. فقد منح أبو بكر الصديق رضي الله عنه الامتيازات للرسل، وسمح لهم بممارسة شعائرهم الدينية، وإعفائهم من ضريبة العشر[٣]. واهتم عمر بن الخطاب رضي الله عنه بديوان الرسائ[٤]. واستخدم المرأة في المفاوضات مع الروم، وأمر الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه بتخصيص مبالغ مالية معينة من بيت مال المسلمين لاستقبال الرسل الأجانب وتغطية نفقات إقامتهم[٥]. كما اهتم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، بالرسل الأجانب واعتبرهم معبرين عن مرسليهم، ووضع العديد من القواعد الدبلوماسية، منها قوله: "رسولك ترجمان عقلك، وكتابك أبلغ ما ينطق عنك". وهذا يؤكد بذلك أن الرسول يعبر عن رأي مرسله وأن ما يقوله لا ينسب إليه، فلا يحاسب عن أقواله. فكان اختياره صلى الله

(١) ابن الأثير(١٩٦٥م). الكامل في التاريخ، الجزء ٢، بيروت، ط١ ص ٣٠٠.
(٢) المرغنياني، أبي الحسن(١٩٦٣م). الهداية، شرح بداية المبتدأ. دار الاندلس للطباعة، القاهرة ط١ج٢ص١٣٦.
(٣) ابن الأثير(١٩٦٥م). الكامل في التاريخ. دار الجيل، بيروت، ط١ص ٢٩٤.
(٤) حسن، إبراهيم حسن(١٩٦١م). تاريخ الإسلام، درا الأرقم، القاهرة، ط٢ ص: ٢٤٧.
(٥) العدوي، إبراهيم أحمد(١٩٦٠م). المسلمون والجرمان. دار وهبة، القاهرة، ط١ص ٢٨٦.

عليه وسلم لسفرائه قدوةً ونبراساً يفوق الإنسانية أجمع كيف لا وهو القدوة الحسنة، الذي أرسله المولى عزوجل للناس كافة بشيراً ونذيراً وداعية إلى الله بمنهج أذهل بطارقة الروم وأكاسرة الفرس، لذلك كان من الطبيعي أن يحملوا سفراؤه بعض صفاته وشمائله فأصبحوا يعرفون قواعد تقديم الحجة البالغة في الإقناع والقيادة. ومما لاشك فيه أن لوحدة الكلمة أهمية كبرى في تسيير أمور الأمة. فالدول التي تتفاخر فيما بينها بقوة الوحدة الوطنية وحرص جميع المواطنين على المصلحة العليا للوطن ومقدراته واستعدادهم للدفاع عنه بكل ما أوتوا من قوة تكون أكثر التزاماً في الأقوال والأفعال، لذلك كلما كان هناك انسجام وتناغم بينهما كلما كان الوعي والإدراك أكثر فاعلية، وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر:٣٥].

دورهم في نشر الدعوة الإسلامية:

بدأ صلى الله عليه وسلم مهمته في تبليغ الدعوة الإسلامية بإرسال سفرائه إلى الملوك والامراء والزعماء ليبدأ صفحةً جديدةً من صفحات بناء العلاقات الدولية بعد صلح الحديبية في نهاية السنة السابعة للهجرة التي فتحت آفاقاً جديدةً للخروج بالدعوة الإسلامية من المحيط المحلي إلى الإقليمي ثم الدولي، حيث بدأ مسيرة الدعوة بتحرير رسائل وخطابات مشفوعة بمنهجية الحوار والمجادلة والنقاش مع عدد من الصحابة الكرام ليحملوا بشارة الدعوة إلى ملوك العالم أجمع ، وقد أعدهم إعداداً جيداً، للقيام بهذه المهمة الإعلامية الكبيرة، وحملهم الأمانة، وأوصاهم بأن لا يختلفوا مع هؤلاء الأمراء كما اختلف الحواريون على عيسي بن مريم عليه السلام قال ابن اسحق:(أن رسول

الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم على أصحابه بعد عمرته التي صد عنها يوم الحديبية، فقال لهم:" أيها الناس إن الله قد بعثني رحمة وكافة فلا تختلفوا عليّ كما اختلف الحواريون على عيسي بن مريم، فقال أصحابه: وكيف اختلف الحواريون يارسول الله ؟ قال: دعاهم إلى الذي دعوتكم إليه فأما من بعثه مبعثاً قريباً فرضي وسلم. وأما من بعثه مبعثاً بعيداً فكره وجهه وتثاقل فشكا ذلك إلى الله فأصبح المتثاقلون يتكلمون بلغة الأمة التي بعث إليها"[1]. هكذا استطاع رسول الله صلي الله عليه وسلم أن يعد سفراءه إعداداً كاملاً فكانوا يعرفون كل فنون الكتابة والخطابة والترجمة والفصاحة، واللغات واللهجات المختلفة (كالعبرانية والفارسية واليونانية والحبشية). ومن خلال ما ورد ندرك أن هؤلاء السفراء ليسوا دبلوماسيين فقط بل هم هداة مهذبون لنصرة الحق بالحوار والإقناع وإفحام الخصوم. وعندما استقر به المقام في المدينة المنورة، وكوَّن الدولة الإسلامية الأولى، تصدَّى في خلال سنواتها الخمس الأولى للحملات العسكرية التي كانت تشنها قريش على المسلمين، ثم بادر في السنة السادسة من الهجرة بالخروج إلى مكة لأداء العمرة مع ألف وأربعمائة من أصحابه، فصدته قريش عن دخول مكة، وأرسلت إليه وسطاء ورسلاً حاولوا ثنيه عن دخول مكة، ومن هؤلاء: بديل بن ورقاء الخزاعي، ثم الحليس بن علقمة، ثم عروة بن مسعود الثقفي. غير أن هؤلاء الدبلوماسيون قد فشلوا تباعاً في تسوية الخلاف بين الطرفين وتقريب وجهتي نظريهما. فبعث النبي صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان سفيراً من طرفه إلى قريش، ليبلغهم أهداف هذه الرحلة الدينية التي جاء المسلمون من أجلها، وأنهم لا يريدون الحرب[2]. لكن

(١) ابن كثير(١٣٣٧هـ). البداية والنهاية. دار العلم، بيروت، ط١ص٦٩.

(٢) دويدار، أمين(بدون تاريخ). صور من حياة الرسول. دار المعارف، بيروت، ط٢ص٤١١.

قريشاً احتبست عثمان عندها فشاع الخبر بأنه قتل، فأقبل الصحابة يبايعون النبي صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على قتال قريش حتى الموت؛ جراء ما أشيع عن قتلها لعثمان بن عفان مبعوث المسلمين، لأنهم انتهكوا الأعراف الدبلوماسية، قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً﴾ [الفتح:١٨]. ثم ما لبثت قريش أن أدركت حرج الموقف فأطلقت عثمان بن عفان، وأرسلت سهيل بن عمرو مبعوثاً جديداً، فاوض النبي صلى الله عليه وسلم حتى تم الاتفاق بينهما على مجموعة نقاط، وسُمِّي هذا الاتفاق" بصلح الحديبية "[(١)]. ثم لم يمض شهران على هذا الصلح حتى قام النبي صلى الله عليه وسلم بمكاتبة الملوك والأمراء داخل الجزيرة وخارجها، ولا شك أن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة يمثلان المصدران الأساسيان في بناء العلاقات الدبلوماسية بين المسلمين، لأنهما تضمنا الكثير من القواعد والأخلاقيات التي قامت عليها المعاهدات بين الدولة الإسلامية في صدرها الأول وبين الإمارات المجاورة لها، ومعنى هذا أن الدين الاسلامي أكثر وضوحا في التأثير والإقناع وفي التنظيم الإداري، وفي معاملة الناس، كما يحمل في طياته منهجاً خاصاً بالإعلام يستمد أصوله من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، الغرض منها العناية بالرأي العام، وتحديد الوظائف المنوطة بأهمية العمل الدبلوماسي في الإسلام.

نماذج من رسائله صلى الله عليه وسلم للملوك والأمراء:

- رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس ملك مصر: أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطب بن أبي بلتعة إلى مصر حيث يوجد

(١) ابن كثير(١٣٣٧هـ). السيرة النبوية. دار الفكر العربي، بيروت، ط٢ص٢٣٤.

المقوقس بالإسكندرية، فلما وصل إليه سلمه الكتاب دار معه حواراً طويلاً جاء فيه[1]:

المقوقس: ما منعه أن يكون نبياً؟، وأن يدعو على من خالفه؟

حاطب: ألست تشهد أن عيسي بن مريم رسول الله؟

المقوقس: أحسنت أنت حكيم من عند حكيم.

حاطب: إنه كان قبلك من يزعم أنه الرب الأعلى فأخذه الله نكال الآخرة والأولى، فانتقم منه إن هذا النبي دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش، وأكثر عداوةً له اليهود وأقربهم منه النصارى، ولعمري ما بشارة موسى بعيسى عليهما السلام إلا كبشارة عيسى بمحمد صلى الله عليه وسلم، وما دعاؤنا إياك بالقراءن إلا كدعائك لأهل التوراة بالإنجيل، وكل نبي أدرك قوماً فهم أمته، فالحق عليهم أن يطيعوه، فأنت ممن أدرك هذا النبي، ولسنا ننهاك عن دين المسيح بل نأمرك به.

ثم دار حوارٌ آخر جاء فيه:

حاطب: لا تسألني عن شئ إلا صدقتُك.

المقوقس: ما الذي يدعو إليه محمد صلى الله عليه وسلم؟

حاطب: يدعو إلى أن نعبد الله وحده، ويأمر بالصلاة، والوفاء بالعهد وينهى عن أكل الميتة والدم.

ومن خلال ما سبق من هذا الحوار الذي دار بين حاطب والمقوقس يظهر لنا قوة شجاعة وفصاحة حاطب حين استطاع يوصل رسالة المصطفى

(١) ابن كثير١٣٣٧هـ). مصدر سابق، ص٥٨٠.

عليه أفضل السلام وأن يقنع المقوقس بأن هنالك نبيّ بعث رحمةً للعالمين كافةً. ورغم عدم دخول المقوقس في الإسلام إلا أنه أرسل معه هدايا للرسول صلى الله عليه وسلم وجاريتين هما: ماريا القبطية أم إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأختها سيرين[1]. ومن أبرز المقومات الدعوية التي يمكن أن نستخلصها من هذه الرسالة الإعلامية:

١. إظهار جانب الرفق والرأفة مما ساعد في كسب نفسية المدعو.
٢. التوافق بين الأديان السماوية في إجابة الدعوة.
٣. احترام المدعو دليل على قوة الحجة والإقناع.
٤. شمولية الدعوة الإسلامية في كفالة حرية الاعتقاد.
٥. ظهر من أول الأمر فاعلية استخدام الاتصال المباشر في سرعة الإقناع دون عصبية.

رسالة شجاع بن وهب إلى الغساني:

أما الحارث الغساني فقرأ كتاب النبي صلي الله عليه وسلم ثم رمى به، وعزم أن يسير إليه ليقاتله، ولكن تراجع عن قراره عندما فشل في تكوين حلف بينه وبين قيصر ملك الروم الذي رفض التعاون معه. أما ملك اليمامة فظن أن الأمر مُلك لا نبوة، فطمع أن يكون له بعض هذا المُلك، وكتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً:" ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله فاجعل لي بعض الأمر فأتبعك" فلما قرأ النبي صلي الله عليه وسلم كتابه قال:" لو سألني سباية (البلحة) من الأرض ما فعلت"[2].

(١) ابن كثير (١٣٣٧هـ). السيرة النبوية. دار الفكر العربي، بيروت، ط١ص٣٣٩.
(٢) هارون، عبدالسلام(بدون تاريخ). تهذيب سيرة ابن هشام. دار العلم، بيروت، ط٢ص٣٦٤.

رسالة دحية الكلبي إلى عظيم بصرى:

الذي جاء فيها:"من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام اسلم تسلم، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الآريسيين ويا أهل الكتاب تعالوا على كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله، فإن تولوا فقولوا: اشهدوا بأنا مسلمون"(١).

رسالة معاذ بن جبل إلى اليمن:

ذكر بن اسحق:"أن رسول الله صلي الله عليه وسلم حين بعث معاذاً إلي اليمن أوصاه وعهد إليه، ثم قال له:" يسر ولا تعسر وبشر ولا تنفر، وإنك ستقدم على قوم من أهل الكتاب يسألونك مفتاح الجنة فقل لهم:" شهادة أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له"(٢).

رسالة عبدالله بن حذافة إلى كسرى عظيم الفرس:

بينما أخذ كسرى ملك الفرس يمزق كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى نائبه على اليمن أن يبعث إلى هذا الذي يدعيّ النبوة أن يأتيه به، فبعث (باذان) برجلين، فلما قدما علي النبي صلي الله عليه وسلم قال لهما: من أمركما بالمجئ هنا؟ قالا ربنا يقصدان كسرى فقال لهما:"أبلغا صاحبكما أن ربي قتل رب كسرى في هذه الليلة" فرجعا إلى باذان فأخبراه بما سمعا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبينما هما في مجلس"باذان" أتاه الخبر بقتل كسرى على يد ابنه (سيرويه) فأسلم (باذان)، وأسلم من معه باليمن من أبناء

(١) البخاري(١٩٨٧م). صحيح البخاري. تحقيق مصطفى ديب، دار ابن كثير، بيروت، ط٣ ج١ص ٣١.

(٢) هارون، عبدالسلام(بدون تاريخ). مصدر سابق. ص٣٦٢.

الفرس[1]. كل تلك الإشارات والدلائل تؤكد صدق رسول الله صلى الله علي وسلم في دعوته بالتي هي أحسن، حتى عمت بشائر الدعوة الإسلامية بلاد العرب والعجم دون تفريط أو تمييز، وما تناقله من أخبار النبوة والعصمة في قول الفصل دلالة على أنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، ومن أبرز النقاط في بناء العلاقات الدبلوماسية بين المسلمين والفرس:

١. قوة الرسالة التي حملها عبدالله بن حذافة السهمي إلى الملك كسرى (ايدويز) والتأكيد بأنها رسالة عالمية تحمل في طياتها قوة ومتانة الدبلوماسية الإسلامية.
٢. الدعوة إلى التوحيد بالأدلة القطعية دون الظنية.
٣. الدبلوماسية الفائقة التي امتازت بها رسالة النبي صلي الله عيه وسلم إلى الملك كسرى.
٤. الإيجاز والبيان في خطاباته صلى الله عليه وسلم دليل على معرفته بقيمة العلاقات الدولية.
٥. جاء في معظم رسائله صلى الله عليه وسلم عبارة "سلام على من اتبع الهدى" وهذا دلالة على عالمية الدعوة الإسلامية.

رسالة عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي:

عندما خشي رسول الله صلي الله عليه وسلم على أصحابه من قريش مكة، خوفاً من أن يفتنوا في دينهم أمرهم بالهجرة إلى الحبشة، وأخبرهم بأنهم سيكونون تحت حماية ملك عادل، وأوصاهم بتقوي الله والصدق في القول، وهذا ما جاء في قول ابن كثير:" ولما رأى رسول الله صلى الله عليه

(١) دويدار، أمين(بدون تاريخ). مصدر سابق. ص٥٠٠.

وسلم ما يصيب أصحابه من البلاء، وماهم فيه من العافية، قال لهم لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن فيها ملكاً لا يُظلم عنده أحد، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم مخرجاً مما أنتم فيه"[1]. فالحق كانت الهجرة الأولى وسيلة من وسائل الاتصال الشخصي والجمعي بين المسلمين وأهل الكتاب (النجاشي)، وليس مجرد خروج كما يزعم البعض فكانت مقدمة الوفد تمثل الرسالة الأولى لبناء علاقات التعاون والتآلف، وخلق أرضية صلبة لإنتشار رسالة الدعوة الإسلامية، فاستمر المسلمون في تلك البقعة الجديدة إلى أن يسر لهم المولى عزّ وجلّ بالهجرة الثانية التي تمثل قمة الدبلوماسية الإسلامية برئاسة جعفر بن أبي طالب سفير رسول صلي الله عليه وسلم إلى الحبشة. ويرى الباحث أن قوة الرسالة الإعلامية التي استخدمها سفير الأُمة جعفر بن أبي طالب لمقارنة الحجة بالحجة أفضت إلى ظهور النتائج التالية:

- كشف الحوار أن الحبشة هي أرض صدق ومأمن بين أهل الكتاب والمسلمين.
- عدالة ملك الحبشة هي ضمان لقبول البعثة، وبناء علاقات دولية بين الدولتين.
- فشلت الدعاية التي استغلتها قريش مكة من أجل إضعاف رسالة الدعوة، والعمل على إثارة الحقد والاحتقان بين الإثنيات المختلفة في دولة الإسلامية.
- الاختيار الموفق للسفير الذي يحمل في طياته كل أساليب البيان والفصاحة والحجة والإقناع، وقدرته الفائقة علي تحريك الكوامن الدينية عند

(١) ابن كثير (١٣٣٧هـ). البداية والنهاية. دار العلم، بيروت، ط١. ص٢٧٨.

النجاشي وبطارقته. وأهم ما يمكن أن نستخلصه من الدروس والعبر في بناء العلاقات الدولية على ضوء ذلك الحوار الآتي:

١. أن اختيار الوقت والمكان المناسبين للحوار سبب أساسي في تقريب وجهة النظر بين الطرفين.

٢. الاحترام والاعتراف بالآخر شكل القواسم المشتركة التي يمكن أن تجمع كل مظاهر التعايش والتآلف والسلم بين الديانتين.

٣. عرض المحاسن والمساوي بالأدلة والحجة الدامغة.

٤. الاختيار المناسب للألفاظ والأساليب التي تؤكد حقيقة رسالة الإسلام.

وقد روى ابن اسحق قائلاً: "ثم قدم علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة عشرون رجلاً حين بلغهم خبره فوجدوه في مسجده، فجلسوا إليه وناقشوه، وكان رجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة، وقد اطلع علي صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحواله التي ذكرت في كتاباتهم فلما فرغوا من سؤال الرسول صلى الله عليه وسلم دعاهم إلى الله عز وجل، وتلا عليهم القراءن الكريم، فلما سمعوا فاضت أعينهم من الدمع ثم استجابوا لله سبحانه وتعالي وآمنوا وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتاباتهم من أمره)[1]. وعلى ذات النسق حرص النبي صلى الله عليه وسلم في تحريك الغريزة الدينية لهذا الوفد فتلا لهم القراءن فبكوا، واستمالهم إلى الإسلام فآمنوا فأصبح الدين عندهم عبارة عن مؤسسة اجتماعية يلعب دوراً كبيراً في التأثير على سلوك الأفراد في مختلف جوانب الحياة (المادية والروحية)، ولا يفوت علينا فإنه صلى الله عليه وسلم كان مدرك بعلم النصارى، وببشارة

(١) ابن هشام (بدون تاريخ). السيرة النبوية. دار العلم. بيروت، ط١ ص٢٣٦.

عيسي عليه السلام؛ فوجد في ذلك مدخلاً إلى نفوس هؤلاء فنجح في دعوته لهم إلى قبول التعايش والتسامح بين الإسلام والمسلمين. ومما يدل علي حسن استخدام الرسول صلى الله عليه وسلام لأسلوب الاتصال الشخصي بين مدعويه، روى ابن اسحق أنه صلى الله عليه وسلم في رحلته للطائف، التقى غلاماً اسمه عداس:" فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من أي البلاد أنت ياعداس؟ وما دينك؟ قال: أنا نصراني، وأنا رجل من أهل نينوى، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم:" من أهل قرية الرجل الصالح (يونس بن متى)، وعند ذلك قال عداس وما يدريك ما يونس بن متى؟ فإني والله لقد خرجت منها وما بها عشرة يعرفون ما متى؟ فمن أين عرفت ابن متى، وأنت أمي في أمة أمية؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم:" ذاك أخي،كان نبياً وأنا نبي أمي "[1].

ومن هنا نتلمس دلالة الرابطة الإنسانية من حيث الكرامة والاحترام فكان تعريفه بأنه نبيّ نقطة تحول في علاقة عداس بالإسلام. ومن أبرز صور الاتصال الفردي أو الشخصي لهذا الحوار تطور العلاقات الإسلامية المسيحية للإسباب التالية:

- كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسن استقبال الوفود الذين يفدون إليه من خارج المدينة المنورة، وخاصة الذين يرغبون في معرفة الإسلام.
- حاول النبي صلى الله عليه وسلم بلورة مفهوم الدبلوماسية الإسلامية التي تدعو إلى بناء العلاقات الدولية.
- سعي الرسول صلى الله عليه وسلم أن يحدد مطلوبات التوافق في بناء علاقات تعايش بين المسلمين وأهل الكتاب سواء المقيمين في المدينة المنورة أو في شتى انحاء العالم.

(١) الحلبي،على برهان الدين(بدون تاريخ). السيرة الحلبية. دار المعارف،بيروت،ط١ص٥٤.

- دقة رسائله صلى الله عليه وسلم ساعدت في بناء العلاقات الدولية.

وجاء في صحيح مسلم عن أنس بن مالك قال:" إن نبي الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي وإلى "أكيدر دومة" وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى"[1]. وزوَّدهم بكتب هي وثائقُ تؤيِّد صحة انتدابِهم كما توضِّح الغرض منه، كما بعث النبي الأمين المبعوثين السِّرِّيين الموثوق بهم إلى البلاد التي يهتمُّ بمعرفة أحوالها، فقد عيَّن عمه العباس مبعوثاً سريًّا في مكَّة، والمنذر بن عمرو بن خنيس الساعدي المكنى في نجد، وكانت مهمتهم تزويدَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم بالمعلومات عن أحوال وأحداث الجِهة التي بُعثوا إليها، وفي المقابل كان صلوات الله وسلم عليه يستقبلُ وفودهم في مسجده بالمدينة المنورة عاصمة الدولة الاسلامية، وجاء في سيرة ابن هشام:" أنَّ الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم والصَّحابة رضوان الله عليهم كانوا يلبَسون أحسن الثِّياب عند استقبالهم الوفود والرسل"[2]، غير أن الخليفة عمرَ بنَ الخطاب رضي الله عنه لم يتقيَّد بهذا الأسلوب من الرسميَّات بل مارسه بالبساطة؛ حتى إنَّ سفير قيصرِ الروم لَمَّا أوفده وجده نائماً تحت شجرة، ربما أنَّ الخليفة عمر قد أراد أن يُرِيَ سفير قيصر الروم الفرقَ الشاسع بين البساطة التي يعيشها خليفة المسلمين، وبين التَّرف الذي يعيشه القيصر البيزنطي، ولم يخل الشرع الإسلامي من إبراز أهمية التمثيل الدبلوماسي كأحد الوسائل الأساسية للتواصل بين الشعوب، فالنظام الداخلي في خطوطه العريضة لدولة الإسلام قد وضع مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكتابته كتاب الموادعة

(١) الفارسي،علاء الدين بن بلبان(بدون تاريخ).الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ، وعبد القادر الأرناؤوط دار القلم،ط٣ ج١٤/ص ٤٩١– ٤٩٢.

(٢) ابن هشام(بدون تاريخ).مصدر سابق، ص٦٢٢.

بينه وبين اليهود والمشركين[١]. فكان كل صاحب رسالة يستقبل الوفود باحتفالٍ وَفْق المراسيم والعادات الاسلامية، فهم يحترمون تقاليدَ الدول التي يُوفدونَ إليها ولا يخرجون عنها، إلا إذا تعارضت مع أحكام الدين الحنيف، كعادة السُّجود للملوك التي كانت شائعةً في العهود القديمة. وكان المسلمون يعترفون للمبعوثِ الأجنبي بالحصانة، ولم يقصُرِ المسلمون صفةَ المفاوض الدُّبلوماسي على ممثِّلي الملوك والحكومات، بل كان التسامح الإسلامي يتَّسع إلى حد إضفاء صفةِ المفاوض على كلِّ من يجادل في موضوع يخصُّ الدعوة الإسلامية حتى إنَّ هذا التسامح أصبح قانون بأمر من النبيِّ صَلى الله عليه وسلم، كما حدث لمبعوثي مسيلمةَ الكذَّابِ مع أنهما أساءا القول. وقد أجمعت كتب السِّيَر على ذكر رواية أبي رافع الذي جاء إلى النبي صلَّى الله عليه وسلَّم موفَداً من قريش، وبعد مُثوله بين يديهِ، آمَنَ وعزم على ألاَّ يرجع، فقال له النبيُّ: "ارجعْ، فإن كان في قلبِك الذي فيه الآن، فارجعْ إلينا"[٢]، وهذا الحادث يدلُّ على مدى تقدير الرَّسول للأمانة التي يجبُ أن يتخلَّق بها السفير، وإلزامه بتأديتِها بإخلاص. وعندما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية في ذي الحجة سنة ست، أرسل الرسل إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام وكتب إليهم كتباً، وقيل له: "يا رسول الله إن الملوك لا يقرؤون كتاباً إلا مختوماً"[٣]، فاتخذ صلى الله عليه وسلم يومئذ خاتماً من فضة ونقش فيه ثلاثة أسطر (محمد رسول الله) وختم به الكتب فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد، وذلك في المحرم سنة سبع وأصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثه إليهم[٤]. فهذه الأدلة الموضوعية

(١) ابن هشام(بدون تاريخ). المصدر نفسه، ص٥١٩.
(٢) ابن سيد الناس(بدون تاريخ). عيون الأثر. طبعة المعرفة، بيروت، ط٢ص٢٥٩.
(٣) ابن القيم الجوزية(١٩٧٥م). زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق شعيب الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط، ،ط٣ص٦٨٨.
(٤) حمادة، فاروق (١٩٩٧م). مصدر سابق ص ١٦.

والمنطقية تحسم أي شك أو نقاش في صحة إرساله صلى الله عليه وسلم هذه الكتب والرسائل إلى الملوك والامراء، خاصة من قبل المستشرقين وهم أنفسهم الذين عثروا على هذه الكتب[1]. وبناءً على تلك الدلائل الواقعية التي تحدثت عن الدبلوماسية الإسلامية، يمكن ملاحظة الآتي:

١. لأول مرة في تاريخ البشرية تتحول مهمة الدبلوماسي إلى الدعوة والهداية لبناء قيم ومبادئ ومُثل، فقد كان قبل الإسلام تقوم العلاقات الدبلوماسية بين الدول على المادية والعاطفية، والمجاملة في إبرام العقد والصلح فقط.

٢. تعميم الرسل والسفراء لجميع الشعوب، لتحقيق هدف عالمية الرسالة الإسلامية.

٣. الاختيار المناسب للرسل الذين أوفدهم رسول الله إلى عظماء عصره لأداء رسالته، فالذين تم اختيارهم هم من السابقين إلى الإسلام، والراسخين في معرفته، والمشهود لهم بالفضل، وحصافة العقل، وطلاقة اللسان، وقوة الحجة والبيان وقوة الجنان.

٤. إقراره صلى الله عليه وسلم لنظرية الدبلوماسية الإسلامية في مخاطبة الآخرين دون تحقير. وقد حملهم مسؤولية شعوبهم، ونبههم إلى خطورة مكانتهم في الهداية والضلالة لمن يسوسونهم ويتولون أمرهم، وفي ذلك تنبيه واضح على أهمية فتح أبواب الإسلام عند الأمم والشعوب الأخرى سلماً دون إكراه، كما أباح وجود النصارى واليهود والمجوس في دولته وأعطاهم الأمان والحرية الفكرية والعقائدية وممارسة عبادتهم وأعمالهم

(١) أبو شريعة، إسماعيل محمد(١٩٨١م). نظرية الحرب في الشريعة الإسلامية، مكتبة الفلاح، الكويت، ط ص١١٢.

العبادية والتعبدية دون حجر من أحد.

٥. حافظ صلى الله عليه وسلم على ما كان سائداً في عصره من معاني الخير والإنسانية في العلاقات والعهود والمواثيق أو البعثات فكان يستقبل الرسل وهم له مكذبون، ويؤمنهم على حياتهم ومتاعهم بل وينزلهم ويكرمهم في دار الضيافة، ويهتم بهم ويشرح لهم رسالة الإسلام ولا يقبل منهم البقاء عنده ولو أسلموا طالما هم رسل حتى يعودوا فيؤدوا رسالتهم.

٦. أعطى صلى الله عليه وسلم لسفرائه ومبعوثيه صلاحية إبرام المعاهدات الدولية، وأكد على الوفاء بها في إطار توجيهات عامة تنطلق من روح الإسلام ونصوص القرآن، كقوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنفال:٦١]. وجاء عنه صلى الله عليه وسلم: "ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم". وفي رواية: "يد المسلمين على من سواهم تتكافأ دماؤهم ويجير عليهم أدناهم ويرد عليهم أقصاهم، وهم يد على من سواهم"[(١)]. فاالدبلوماسية التي اتسم بها النبي صلى الله عليه وسلم في إدارة شؤون الحكم، أو مارسها في خطاباته السياسية والإعلامية، أو في الاتصال بالناس، أو في الانفتاح على العالم، كانت وما زالت هي العين الصافي لكل من جاء بعده من الخلفاء والرؤساء والولاة والدعاة[(٢)].

ولقد أرسى الإسلام مبدأ المعاملة بالمثل في كثير من قضايا الدبلوماسية، ومن ذلك ما يتصل بالدبلوماسيين وتأمينهم وتوفير الحصانة والحماية لهم، فالرسل الأجانب الذين يوفدون إلى الدولة الإسلامية لهم كافة الامتيازات التي يتمتع بها المستأمن.

(١) الشوكاني، محمد بن علي(١٣٤٧هـ). نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، دار العلم، القاهرة، ط١ج ٨ص٣٢.

(٢) التميمي، عز الدين الخطيب (١٩٩٩م). الدبلوماسية في الإسلام. المعهد الدبلوماسي الأردني، عمان، العدد الثاني، ص ٥.

فللحضارة الإسلامية دور كبير في تطوير العمل الدبلوماسي وإرساء العديد من القواعد والأسس التي أخذت ترتكز عليها الدبلوماسية المعاصرة. ومن هنا نؤكد أن ممارسة عمل الدبلوماسية في جميع مجالاتها يحتم الالتزام بالمعايير الأخلاقية الثابتة، والالتزامات الدينية التي تحقق أخلاقيات ممارسة المهنة. ولهذا لا مكان في مفاهيم الأخلاق الإسلامية للدبلوماسية الاسلامية للمبدأ الخبيث الذي ينادي(الغاية تبرر الوسيلة)، فالضرورة هي المناداة بمشروعية الوسيلة مراعاة معاني الأخلاق لقوله تعالى: ﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٢]، فهذه الآية توجب على المسلمين نصرة إخوانهم المظلومين قياماً بحق الأخوة في الدين، خاصة إذا كانت نصرتهم لا تلزم نقض العهد مع المخالفين لهم؛ ويرى الباحث أن (الغاية لا تبرر الوسيلة): شعار يجب أن تضعه مهنة الدبلوماسية خاصةً، وتعيد صياغة وسائلها وأهدافها تحت النظام الأخلاقي في الأديان، وفي النظام الإسلامي بشكل خاص؛ لأن تعاليم الإسلام جاءت لتنتقل بالبشرية إلى حياة مشرقة بالفضائل والآداب، واعتبر الإسلام المراحل المؤدية إلى هذا الهدف النبيل من صميم رسالته، كما أنه عدّ الإخلال بهذه الوسائل خروجًا عليه وابتعادًا عنه، فليست الأخلاق من مواد الترف التي يمكن الاستغناء عنها، بل هي أصول الحياة التي يرتضيها الدين. فإذا أحسنت العلاقات الدبلوماسية عموماً استخدام تلك القيم التي تفيض بالحيوية وتنطق بالصدق وتوقظ الوجدان وتسمو بالروح، وستكون النتيجة خلق بواعث الإيمان وستنتشر الأخلاق والمثل العليا إلي العالم أجمع، فنأمل أن تعيد الدبلوماسية العربية اليوم مجدها وقوتها وعزتها، وأن تستمد قوتها وأصولها من قواعدها الدبلوماسية الإسلامية الأولى، وتسعى إلى إظاهر فعاليتها وتأصيلها والأخذ بأساليبها حتى تسود وتهيمن على العالم كله.

خاتمـــــة

أكدت الدراسة أنّ انتشار فكرة الدعوة الإسلامية في أنحاء الجزيرة العربية وخارجها أسعدت البشرية جمعاء بخروجهم من ظلمات الضلالة إلى نور الهداية، حينها اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه العزيمة الفائقة في التوجيه والتربية والارشاد لإنشاء دولة يكسب بها ثقة الموالين وغير الموالين له، وعلى ضوئها أرسل رسائله إلى الملوك والأمراء لتوطيد علاقات دولية تسهم في بناء العيش المشترك بين الأديان السماوية.

وبالرغم من التحديات التي صاحبت نشر الدعوة الإسلامية إلا أنه صلى الله عليه وسلم استطاع أن يبني دولته على أساس الأحكام الشرعية واحترام الآخر، والعدالة والمساواة في الحقوق والواجبات بين المسلمين وغيرهم. فالحقائق الماثلة أمام تلك التحديات المستحدثة؛ هي التي دفعت المسلمين إلى أن ينظروا لرسالة الإسلام بأنها رسالة عالمية، وعلى أنّهاتقوم على كسر حاجز الشك الذي كان ينتاب مجموعة من ضعفاء النفوس بحجة أن المسلمين كانوا فقراء لا يستطيعون بناء علاقات دبلوماسية. وبما أن عالم اليوم طغت فيها موازين المادة على الروح إلا أنها لا تختلف في جوهرها عن المادية التي طغت علي العالم في صدر الدولة الإسلامية، وما اشبه الروم والفرس بأروبا والولايات المتحدة الامريكية. فعلى المسلمين اليوم إذا أرادوا بناء علاقات دولية على نسق دولة الرسول صلى الله عليه وسلم(المدينة المنورة) أن يعتمدوا على أسس ومفاهيم قرآنية، وأن يستيقظوا من غفوتهم، وأن يخلصوا نواياهم حتى يدفعوا بالأُمة المسلمة إلى آفاق المستقبل.

وثمة أمر آخر، هو أنّ رسالة التبليغ أو الاتصال في النظام الإسلامي لا تخرج عن محتوى العقيدة الإسلامية التي تهدف إلى إصلاح حال الإنسانية أفراداً وجماعات، وذلك لحفظ التوازن بين مقومات الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

التوصيات:

- توسيع قاعدة المشاركة الحوار بين الدول الإسلامية في تطوير مفهوم الدبلوماسية.
- على السفراء والبلوماسيين أن يكونوا أصحاب رسالة لدولهم.
- الواقعية والالتزام والصدق في تحقيق عالمية الرسالة الإسلامية للعالم.
- تنوع الأساليب والوسائل ومراعاتها لحال مستقبلي الرسائل الدعوية.
- مواجهة قضايا ومشاكل المدعوين بصورة توافق مميزات الدعوة الإسلامية.
- فتح قنوات فضائية تسهم في تأكيد مفهوم الدبلوماسية الإسلامية.

المصادر والمراجع

- القرءان الكريم.

١. ابن الأثير(١٩٦٥م). الكامل في التاريخ، دارالجيل، بيروت، ط١.

٢. ابن الفراء(١٩٧٣م). رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة. دار الكتاب الجديد،القاهرة،ط٢.

٣. ابن القيم الجوزية(بدون تاريخ). زاد المعاد في هدي خير العباد،تحقيق شعيب الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط، ط ٣ص٦٨٨.

٤. ابن سيد الناس(بدون تاريخ). عيون الأثر،طبعة المعرفة، بيروت، ط.

٥. ابن كثير(١٣٣٧هـ). البداية والنهاية. دار العلم،بيروت، ط١.

٦. ابن كثير(١٣٣٧هـ). السيرة النبوية. دار الفكر العربي،بيروت، ط٢.

٧. ابن منظور(١٣١٤هـ). لسان العرب. دار العلوم،بيروت،ط٢.

٨. ابن هشام(بدون تاريخ). سيرة ابن هشام، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار القلم، بيروت ط٢ ج٢.

٩. أبو شريعة، إسماعيل محمد(١٩٨١م). نظرية الحرب في الشريعة الإسلامية، مكتبة الفلاح، الكويت، ط٢.

١٠. الآلوري،عبدالله آدم(١٩٩٧م). تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم. مكتبة وهبة، القاهرة، ط١ص.

١١. البخاري(١٩٨٧م). صحيح البخاري. تحقيق مصطفى ديب،دار ابن كثير،بيروت، ط٣ ج١.

١٢. بو سلطان،محمد(١٩٩٩م). مبادئ القانون الدولي العام. دارالغرب للنشر، الجزائر، ط١ ج٢.

١٣. التميمي،عزالدين الخطيب (١٩٩٩م). الدبلوماسية في الإسلام. المعهد الدبلوماسي الأردني،عمان، العدد الثاني، فبراير ١٩٩٩م.

١٤. حسن، إبراهيم حسن(١٩٦١م). تاريخ الإسلام، درا الأرقم،القاهرة،ط٢.

١٥. حسين، عدنان السيد(٢٠٠٣م). نظرية العلاقات الدولية، دار أمواج، بيروت، ط٣.

١٦. الحلبي، على برهان الدين(بدون تاريخ). السيرة الحلبية. دار المعارف،بيروت، ط١.

١٧. دراز،عبدالله (١٩٤٩م). القانون الدولي في الاسلام. المجلة المصرية للقانون الدولي، ط١.

١٨. دويدار،أمين(بدونتاريخ). صورمن حياة الرسول. دارالمعارف،بيروت، ط٢.

١٩. الشاوي،هشام(١٩٦٩م). الوجيز في فن التفاوض. مطبعة جامعة بغداد. العدد العشرون.

٢٠. الشوكاني، محمد بن علي(١٣٤٧هـ). نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار،دار العلم، القاهرة،ط١ ج.

٢١. العدوي، إبراهيم أحمد(١٩٦٠م). المسلمون والجرمان. دار وهبة، القاهرة، ط.

٢٢. الفارسي،علاء الدين بن بلبان(بدون تاريخ). الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ط٢.

٢٣. فاروق، حمادة (١٩٩٧م). البعثات الدبلوماسية في العهد النبوي وأثرها في التشريع الدولي، سلسلة ندوات ومنظرات، "التشريع الدولي في الإسلام"، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ط١ ص.

٢٤. فودة، عزالدين (١٩٦١م). النظم الدبلوماسية. دار الفكر العربي، القاهرة، ط١.

٢٥. القرطبي (بدون تاريخ). الجامع لأحكام القرآن. تحقيق عبدالرازق المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢ ج٩.

٢٦. محمد، فاضل زكي (١٩٧٣م). الدبلوماسية بين النظرية والتطبيق، مطبعة شفيق، بغداد، ط٣.

٢٧. المرغيناني، أبي الحسن (١٩٦٣م). الهداية، شرح بداية المبتدأ. دار الاندلس للطباعة، القاهرة ط١ ج٢.

٢٨. هارون، عبدالسلام (بدون تاريخ). تهذيب سيرة ابن هشام. دار العلم، بيروت، ط٣.

29. Ch. Rousseau، 1953. Droit International Public، Sirey Paris.

30. Ian Brownel، 1966. Principles of Public International Law، C، Press Oxford.

31. Afdal Iqbal، 1975. The Prophet's Diplomacy، U. S. A.